المضامين الدينية للأدب الرافدي

د. نجاح أبو القاسم زايد
كلية الآداب– جامعة الزاوية

مقدمـة:

انتشر الموروث الحضاري لبلاد الرافدين في أرجاء واسعة من العالم القديم، وترك بصماته واضحة على آداب الشعوب القديمة والمعاصرة، كالأدب العبراني (العهد القديم)، واليوناني في (الإلياذة والأوديسة)، وكتابات هزيود، وقصص ألف ليلة وليلة.

وكان بالفعل مصدراً مهماً للفكر الرافدي، بما فيه من أمثال ونصائح ووصايا ومناظرات فلسفية وأساطير، وملامح تتناول قضايا الآلهة وصفاتها وطباعها، ومسألة الخير والشر، وتقديم القرابين، والخلود وغيرها.

تتناول هذه الورقة البحثية المضامين الدينية للأدب الرافدي من خلال رصد البصمات التي تركتها الديانة في سومر وبابل على الموروثات الأدبية، وبصفة خاصة على الملاحم من خلال عرض ملحمة جلجامش كنموذج.

ويأتي طرح هذا الموضوع مرتباً في ثلاث نقاط.

1- التعريف بالأدب الرافدي.

2- سمات الأدب الرافدي.

3- المضامين الدينية للأدب الرافدي (ملحمة جلجامش نموذجاً).

يلي ذلك خاتمة بأهم النتائج.

1- مفهوم الأدب الرافدي:

يُشكِّل الأدب في بلاد الرافدين مظهراً مميزاً لهذه الحضارة العريقة، وإسهاماتها الفعَّالة في الارتفاع بمستوى البشرية نحو الأفضل، وتعد الكتابة من أول الدلائل المادية على النضوج الحضاري، والتي باستعمالها استطاع الإنسان تسجيل أحداث حياته اليومية، وعلومه ومعارفه وتراثه، ونقلها إلى الأجيال القادمة، ويبقى العالم مديناً لإبداعات العراقيين القدامى في اختراع أقدم وسيلة للتدوين، أي اختراع الكتابة التي تعد أهم محصِّلة حضارية كبرى حققها إنسان بلاد الرافدين قديماً[1].

وبتطور تلك الكتابة تم التَّمكن من معرفة تفاصيل كثيرة عن الأدب والتاريخ والقانون...الخ من إبداعات الفكر الإنساني، وازدهاره نتيجة التجارب والخبرات البشرية المتراكمة والمتوارثة عن طريق الأجيال[2].

يمثِّل الأدب جانباً مرموقاً من الموروث الحضاري الذي كان يتداول شفاهة عن طريق الكهنة والمنشدين ضمن ممارسات القوم وطقوسهم، إذ طوّر الكهنة مجموعة من الطقوس والشعائر والاحتفالات المختلفة، والمعبِّرة عن الإيمان الراسخ لغرض إرضاء الآلهة والتَّقرب إليها[3].

ويرى طه باقر أنَّ تلك النصوص الأدبية تم إبداعها وإنتاجها في أزمان أقدم من عهد تدوينها، وقد تناولتها الأجيال المتعاقبة بالرواية الشفهية، فحلّ فيها الكثير من التطور إلى أنْ بدأ القوم يدوِّنونها في ألواح الطين بأشكالها النهائية[4].

وتعكس هذه النتاجات الأدبية جملة مواضيع يأتي في مقدمتها تلك التي شغلت بال الإنسان في حياته العامة والخاصة، وتعد على قدر كبير من الأهمية في تطور الإنسان الفكري والروحي؛ كونها تمثِّل طبيعة حياة سكان

وادي الرافدين بجميع أوجهها ومقوِّماتها، مثل نظرهم إلى أصل الوجود والكون والحياة، والموت والخلود والعدالة الإلهية وغيرها[5].

وتتصدر الأساطير الخاصة بمواضيع الخليقة وأصل الوجود، مقدِّمة تلك المواضيع، إذ تعد الأساطير أول محاولة في تاريخ الفكر الإنساني لوضع مفاهيم فلسفية تهدف إلى تفسير أسرار الطبيعة، وهنا يمكن ملاحظة سيطرة الجانب الفني والأدبي، والذي يطغى على الجانب الفكري[6].

تنوع الأدب الرافدي وانقسم إلى ضروب مختلفة كالأسطورة، والحكمة، والأمثال، والأدعية وغيرها، وسنقف عندها لنلاحظ المضامين والتوجهات الدينية التي زخرت بها.

أ- الأسطورة:

لم تكن لسكان وادي الرافدين فلسفة منظَّمة بمفهومها العلمي كالتي عرفت لدى الإغريق، إلاّ أنَّهم فكروا – كما يُستشف من المدوَّنات– في كثير من الأحيان ببعض الأوجه الفلسفية بالنسبة لما يحيط بهم من أمور تمس حياتهم اليومية، وإنْ لم يدركوا علم الفلسفة، بل كان ذلك النتاج ضرباً من التفكير الميثوبي، حيث كان الإنسان يتجه في تفكيره إلى إيجاد أسطورة يسرد خلالها ظاهرة أو تجربة معيَّنة بدلاً من قيامه بالتحليل والاستنتاج على غرار ما يفعله الإنسان المعاصر، لقد كان الإنسان القديم يتعامل مع كل ظاهرة على أنَّها قوة حية، لا يفكر في كيفية حدوثها، وإنَّما في سبب حدوثها، وهو ما يعرف عند الباحثين بالفكر الميثوبي[7].

ومن الأمثلة على تلك الأساطير نذكر على سبيل المثال أسطورة انليلونتليل– انكي وتنظيم الكون – نزول الإلهة إنانا إلى العالم السفلي، أساطير دموزي (تموز)، وهي كلها أساطير سومرية، أمَّا الأساطير البابلية

فهناك أسطورة الخليقة البابلية – أسطورة انزو وسرقة ألواح القدر – أسطورة أيرا وغيرها[8].

تتناول هذه الأساطير وغيرها جملة من الأفكار الدينية كالاعتقاد بالبعث، وبالعالم السفلي، وبوجود آلهة خالقة ومنظِّمة للكون، وهو ما يعكس درجة التطور الروحي للإنسان الرافدي القديم.

ب– أدب الملاحم:

يشمل هذا النوع من الملاحم المدوَّنات الملحمية، وأعمال البطولة والآلهة، وأشباه الآلهة، وتعد ملحمة جلجامش أبرز إنتاج أدبي فاضت به قرائح الشعراء والأدباء، إذْ كانت بحق دُرَّة الأدب العراقي القديم، والتي تم التَّعرُّف على معظم ألواحها من خلال مكتبة آشوربانيبال في نينوي[9]. وستكون لنا وقفة مطولة معها فيما بعد.

ج– قصص الطوفان:

تمثل قصص الطوفان روائع الأداء الأدبي للكتّاب السومريين أصلاً، وما أضافه البابليون، ومن بعدهم الآشوريون ليكتسي آفاقاً وأبعاداً جديدة[10].

ومن الألواح المسمارية التي جاء فيها ذكر الطوفان: قوائم الملوك السومرية، وملحمة زيوسدرا، وملحمة اوتونابشتم، وملحمة اتراخاسيس[11].

د– الرثاء:

يعد الرثاء من أهم الموروثات الأدبية للإنسان الرافدي، حيث زخرت المدوَّنات الأدبية برثاء المدن، وهي عبارة عن نوع من تآليف الأحزان والبكاء، طورّها السومريون إحياءً لذكرى مدنهم التي غالباً ما تتعرَّض للتخريب من قبل الأقوام البربرية المحيطة بهم.

كما يسجل رثاء المدن الوقائع التاريخية التي تتعلَّق بالكوارث التي حلّت بمدينة اكد وأور وسقوط السلالات الحاكمة، وفيها يصور الشاعر السومري الكارثة على أنَّها حلت نتيجة لغضب الآلهه بسبب فعل اقترفه الملك[12].

ه- قصائد الغزل:

من أشهر قصائد الحب والغزل التي وردت في المدونات المسمارية قصة حب الإله الراعي (دموزي) لألهة (عشتار)، والتي أصبحت في النهاية طقساً يقام كل عام من خلال ما يعرف بالزواج المقدَّس، الذي أصبح لاحقاً لاحتفالات بيت الأكيتو (عيد رأس السنة)[13] .

2- سمات الأدب الرافدي:

للأدب الرافدي جملة من السمات التي يمكن توضيحها على النحو التالي:

1- **الأدب الرافدي** أقدم نموذج أنتجه الإنسان بين آداب العالم القديم، فمن المعروف أنَّ المدوَّنات الأدبية بدأت في الظهور عند منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وأنَّ السومريين كانوا السبّاقين في اختراع الكتابة في حدود 3200-3000ق.م.

ويتفق الباحثون على أنَّ التدوين في العراق القديم سابق في ظهوره على التدوين في مصر، كما أنَّه يسبق الأدب الكنعاني إذ يعد متاخراً بفارق زمني لا يقل عن خمسة قرون، ويسبق أيضاً أدب الحضارة الإغريقية، والذي يعود إلى القرن الثامن والسابع قبل الميلاد، والمتمثل في الإلياذة والأوديسة المنسوبتين إلى هوميروس، وغيرها من القصص والملاحم الإغريقية، كما أنَّه يسبق آداب الهند القديمة المتمثلة في نصوص (رك فيدا) أو (الريج فيدا) وبالمثل يسبق آداب إيران القديمة المتمثلة في (الأفستا)[14].

2- **سلامة النصوص** الأصلية من التحوير والتعديل بفضل النُّساخ إذ وصل الأدب الرافدي بهيئته الأصلية غير محور، وكما دون بأقلام الكتبة على ألواح الطين.

ومثلما حرص الأقدمون على استنساخ الأعمال الأدبية من مصادرها الأصلية، كذلك عملوا على مطابقتها وتدقيقها، وثبَّتوا في نهاياتها حواشي تتضمَّن معلومات غاية في الأهمية[15].

3- **الازدواج اللغوي:** تعد النتاجات الأدبية في وادي الرافدين محصِّلة إبداع الشعراء والأدباء السومريين والبابليين، فمن المعروف أنَّ السومرية لغة ملصقة، لم يتمكن العلماء من إرجاعها إلى عائلة لغوية محدَّدة، حيث كانت اللغة السائدة في التدوين منذ اختراع الكتابة في مراحلها الأولى، بينما تعود اللغة الأكدية و البابلية إلى عائلة اللغات الجزرية شأنُها في ذلك شأن الآرامية والعربية غير أنَّه وبعد زوال السومريين من مسرح الأحداث في الألف الثاني قبل الميلاد أدرك البابليون خطورة ضياع الإرث الحضاري السومري، فقاموا بنسخ ما جمعوه من مؤلفات سومرية، وترجمتها مثل قصة نزول إنانا إلى العالم السفلي.

ترتب على هذا الازدواج اللغوي نتائج ثقافية ولغوية وكتابية كثيرة، ساعدت على تيسير فهم النصوص الأدبية، وعلى إغناء معرفتنا بمفردات وتراكيب اللغتين السومرية والبابلية وأصول قواعدهما[16].

4- **قلة النصوص الأدبية** ضمن المدوَّنات المسمارية، يرجع ذلك كما يرى الدكتور فاضل عبد الواحد إلى أنَّ الأعمال الأدبية تتطلَّب عادة مواهب وقدرات ذاتية في الخلق والإبداع، ومعرفة واسعة بالفنون البلاغية خلافاً لكثير من الموضوعات التي لا تتطلَّب هذه المهارات[17].

5- **يعكس الأدب الرافدي** المعتقدات الفكرية والتقاليد المجتمعية، فغالباً ما تشير المدونات الأدبية إلى القضايا الفكرية التي يتم تناولها بالملاحم والأساطير التي تتحدث عن الآلهة وصراعها، والصراع بين الخير والشر والقرابين ونحو ذلك[18].

6- **يعد التكرار والإعادة** من المميزات المهمة في الأدب الرافدي، والتي تفسَّر بأنَّ أصلها يعود إلى المنشدين والمغنين الذين تناولوا نتاجاتهم شفاهة، وقد يتخذ التكرار شكل إعادة المقطع، أو جزء من مقطع سبق وأنْ ورد ذكره في النص، حيث يستفيد الباحث من هذا التكرار في ترميم الأسطر المخرومة من النص، وبشكل عام يعد التكرار أسلوب أدبي عام مألوف في شتى الفنون الأدبية[19].

7- **عدم وجود أسماء لمؤلفين** في التآليف الأدبية المسمارية (سومرية – بابلية)، وهي ظاهرة اتسم بها الأدب العراقي القديم بصورة عامة، باستثناء بعض الحالات النادرة، وتحليل ذلك هو أنَّ الأعمال الأدبية أصبحت نتاجات قومية، أي أنَّها تراكمات موروثة من جيل لآخر عبر العصور.

8- **يمتاز الأدب** في بلاد الرافدين بابتكار بعض الفنون الشعرية، وهو ما يعرف بالاكروستك، وهي صياغة فنية صعبة، لكون الشاعر يلتزم بحرف معيَّن في بداية كل بيت من أبيات القصيدة، بحيث نستنتج من محصِّلتها لو جمعت أوائل أبياتها عمودياً لكوَّنت كلمة أو جملة، فمثلاً قصيدة (العدل الإلهي)، والتي لو جمعت أوائل أبياتها لكوَّنت الجملة الآتية: أنا ساكيل كيتم أو بيت كاهن الرقي عبد الإله والملك[20].

9- **تعكس النتاجات** الأدبية إبداعات الشعراء والأدباء عبر العصور المختلفة، حيث توضِّح تلك المدوَّنات ما فاضت به قرائح الشعراء، ولاسيما

في التشبيهات والنعوت المستخلصة من واقع حياتهم، فقد استحوذت الطبيعة بمختلف مفرداتها على تلك المشاعر، فمثلاً شبَّهوا الجبال الشاهقة بالقمر في السماء العالية، كما عبرّوا عن سمو مدينهم (أور) ورفعتها بين المدن على أنَّها شاهقة كالسماء العالية[21].

10- **يشير الأدب الرافدي** إلى أحداث تاريخية مهمة ضمن عصور مختلفة، فكانت الأحداث التي شهدتها منطقة سومر وأكد من ضمن ما دوَّنه القدماء بأسلوب أدبي جميل، فمثلاً جاء في نص الوثيقة السومرية عن حرب التحرير: "انليل ملك الأقطار كلها، كلّف أوتوحيكال الرجل القوي ملك الوركاء، ملك مناطق العالم الأربع، الملك الذي ليس بوسع أحد أنْ يخالف أمره، بتحطيم اسم ملك كوتي، ثعبان وعقرب الجبل الذي ملأ سومر بالعداوة، أوتوحيكال الملك الذي منحه انليل القوة والذي اختارته اينانا في قلبها، الرجل القوي تقدَّم نحو الوركاء ضد تيريجان ... لقد أعطاني انليل أسلحة ... أوقع بهم هزيمة ... فداس أوتوحيكال بقدميه على رقبة تيريجان[22].

11- **انتشار الأدب الرافدي** وتأثيره في حضارات أخرى، حيث امتدت المظاهر الحضارية لوادي الرافدين بتأثيراتها المباشرة في جميع الجهات، وكان نصيب المدوَّنات الأدبية وافر بتأثيرها الإبداعي إلى مناطق واسعة من الشرق الأدنى القديم، وقد صاحب هذا الانتشار الفتوحات التي اقتضتها استراتيجيات هذه الإمبراطورية أو تلك[23].

3- المضامين الدينية للأدب الرافدي:

يمكن متابعة آثار الدين على حضارة وادي الرافدين في كافة مجالاتها وعناصرها، فعلاوة على الأساطير والملاحم الدينية، التراتيل والصلوات، جداول بأسماء الآلهة والأرواح الخيِّرة والشِّريرة، نصوص الفأل وقراءة

الطالع، والنصوص السحرية، تعاليم إقامة الشعائر والنصوص الدينية، الاحتفالات والأعياد الدينية، الرقى والتعاويذ، المخلفات الدينية: المعابد، الزقورات، التماثيل والنصب والألواح الجدارية، المشاهد الدينية المنقوشة على الأختام الأسطوانية والأواني الفخارية[24].

لهذا يتعذر فهم نشؤ ونمو وموت حضارة وادي الرافدين قبل دراسة عقيدتها الدينية، التي تظهر في كل مخلَّفات هذه الحضارة التي نمت وتطورت وانتهت في أحضان الدين، أو كما يقول طه باقر: "وإذا أخذنا في الاعتبار بأنَّ عصر فجر السلالات يمثِّل ظهور حضارة وادي الرافدين، وأنَّ فترة العصر البابلي الأخير كان آخر عهودها جاز لنا القول أنَّها لصدفة تاريخية عجيبة أنْ تكون هذه الحضارة قد ولدت وماتت في كنف الآلهة والمعبد"[25].

ويعد الموروث الأدبي لبلاد الرافدين بشكل عام، ولسومر وبابل بشكل خاص مرآة صادقةً تعكس كثيراً من المعتقدات الدينية، والعادات والتقاليد السائدة آنذاك، سواء كان الموروث أسطورة، أو ملحمة أو مثلاً أو حكمة، فقد حوت هذه الأنواع المتعدِّدة مضامين دينية تتعلَّق بالحياة والموت، والثواب والعقاب، والخلود، والعدالة الإلهية وغيرها، فمثلاً كان لموضوع الخليقة وأصل الوجود نصوص أدبية متنوِّعة لعل أهمها أسطورة (الاينوما إيليش) التي تعد من أهم القصائد في الأدب الديني، وقد دُوِّنت في سبعة ألواح فخارية، عُثر عليها في مكتبة (آشور بانيبال)، كما كانت تتلى في احتفالات رأس السنة[26].

وأسطورة نزول (إنانا) (عشتار) إلى العالم الأسفل، التي تعد من الأساطير المهمة في عالم ما بعد الموت، ونزول آلهة السماء إلى هذا العالم، ومن

القصص التي تدور حول حتمية الموت، ومسألة الخلود، وعلاقة الإنسان بالآخر قصة (أدابا) التي وجدت مدوَّنة في أربعة ألواح فخارية، ويكمن المغزى الديني لهذه القصة في رغبة الإنسان في الخلود الذي احتكرته الآلهة لنفسها، وجعلت الموت قدراً للإنسان[27].

ويعد أدب الحكمة أحد ضروب الأدب الرافدي التي تتضمَّن قضايا فكرية وفلسفية تتعلَّق بالإنسان والعدالة الإلهية، من النصوص المعبرة عن ذلك قصة أيوب البابلي التي تأتي في قصيدة بابلية يعود زمن تدوينها إلى العهد الكيشي بعنوان (لا مجدنّ رب الحكمة) وهو إله بابل (مردوخ)، إذ تتطرَّق هذه القصيدة لمسألة حساسة، وهي العدالة الإلهية، فقد اعتقد السومريون والبابليون أنَّ الآلهة خلقت البشر لخدمتها، وإنْ كان الإنسان يطمح في المقابل لنيل الحماية والسعادة، فيجب عليه التمسُّك بالآلهة تحت مختلف الظروف، وإنْ كان الشر سائداً على الخير في حياة بعض الأشقياء تبقى التقوى هي طريق النجاح في كل الأحوال[28].

أمَّا الملاحم وقصص البطولة فهي الأبرز في الأدب الرافدي، و لاسيما وهي تستند في أسسها على أحداث تاريخية واقعية في إطار أدبي شعري – وهو ما جعلنا نختار نموذجاً منها – تفسر أصول الأشياء ومظاهر الكون والحياة الاجتماعية[29].

ملحمة جلجامش:

يعود تاريخ هذه الملحمة إلى نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني قبل الميلاد، وهي تصف كل الأنشطة وأساليب الحياة للإنسان الرافدي القديم، كما تتحدَّث عن الآلهة وأفعالها، وصفاتها، والعلاقة بينها وبين البشر، وطرق العبادة والطقوس والقرابين، ومن أهم المفاهيم الدينية التي جاءت فيها مفهوم

الخطيئة الإنسانية التي جاءت بالطوفان، ومفهوم الثواب والعقاب، والحياة ما بعد الموت والبعث[30].

تحكي الملحمة عن ملك مدنية الوركاء الشجاع الذي يمتلك جسداً بثلث بشري، وثلثين إلهين: "كان جلجامش ملكاً وسليل ملوك، ولد في قصر ملك (شمش) إله العواصف، وهبة الشجاعة الآلهة العظام جلعوا جسده كاملاً يفوق الجميع، مخيفاً كالثور البري جعلوه بثلثيه إلهاً، وثلثه بشري.... [31]. وعلى الرغم من كل تلك الشجاعة والبطولة التي اتسم بها جلجامش، إلاّ أنَّه كان جبَّاراً متعسفاً حتى أنَّ سكان الوركاء تضرَّعوا للآلهة كي تخلق غريماً لجلجامش يحد من تعسفه وطغيانه، وبالفعل خلقت الآلهة (انكيدو) المتوحش الذي يعيش في البراري ويتصرف كالحيوانات، غير أنَّ جلجامش استطاع أنْ يتغلَّب عليه في أول اشتباك بينهما، ثم استماله ليصبحا صديقين حميمين[32].

يقرر جلجامش اصطحاب صديقه الجديد في رحلة طويلة إلى غابات الأرز؛ بهدف القضاء على وحش وحارس الغابة (خمبابا) وبالتالي تخليد اسمه، وبعد أخذ الموافقة من أمه الآلهة، جهَّز أسلحته وقصد الغابة، وبعد سفر طويل وصل إليها، واشتبك مع (خمبابا) الذي كاد أنْ يقضي عليه هو وصديقه (انكيدو) لولا دعائه للإله (شمش) الذي سلط الرياح العاتية على (خمبابا) فاستطاعا القضاء عليه[33].

لفتت هذه البطولات المتتالية لجلجامش نظر الآلهة العاشقة (عشتار) فطلبته الزواج منها، غير أنَّ سمعتها السيئة في الفتك بعشاقها السابقين جعل جلجامش يرفض طلبها، عندها قررت (عشتار) الانتقام فطلبت من والدها أنْ يرسل ثور السماء ليفتك بجلجامش ومدينته الوركاء، ومرة أخرى يستطيع جلجامش بمساعدة صديقه انكيدو أنْ يقضي على الثور ويخلِّص نفسه منه[34].

ولهذا السبب وبدافع الانتقام كتبت الآلهة الموت على انكيدو، ومع موته أدرك جلجامش مصيره المحتوم، ورغم حزنه على صديقه، إلاَّ أنَّه فكَّر في النجاة والحصول على الخود، فسافر إلى جده (أوتنا بيشتم) بطل الطوفان، وبعد سفر شاق وصل إليه ليسأله عن كيفية الخلود، وأجابه الجد قائلاً:

إنَّ الموت قاس لا يرحم

متى بنينا بيتاً يدوم إلى الأبد؟

وهل ختمنا عقداً يدوم إلى الأبد"[35].

بالإضافة إلى فكرة الخلود، تتضمن الملحمة فكرة دينية أخرى، تتعلق بالخطيئة التي جلبت الطوفان، حيث يحكي أوتنا بيشتم لجلجامش كيف تحصَّل على الخلود، ونجا من الطوفان، على الرغم من أنَّه من البشر "عزمت الآلهة في قرارة نفوسها أنْ تفني العالم بطوفان، ولكن سيدي أيا أنذرني بذلك في المنام، أنَّه همس بكلماته خلال بيتي المصنوع من القصب قائلاً: أيُّها البيت القصبي، تأمل أيُّها الجدار... أيُّها الرجل من شورباك ابن أوبرا –توتو ... قوض بيتك وابني لك فلكاً ... أترك ممتلكاتك وأنج بحياتك ... دع عنك متاعك الدنيوي، وأنقذ روحك، ودعها تعيش ... هدم بيتك أقول لك، وابني فلكا ... وهذه هي مقاييس السفينة إذا أردت بنائها .... ليكن عرضها مساوياً لطولها ... أجعل ظهرها مسقفاً كما يعلو السرداب سقفه .... ثم خد معك في الفلك بذر جميع المخلوقات الحية ...."[36].

هام جلجامش على وجهه في رحلته للبحث عن النبتة التي سوف تمنحه الخلود، وهي نبتة تنمو في المياه العميقة، أخبره عنها بطل الطوفان أوتنا بيشتم، وعندما استطاع الحصول عليها عاد بها منتشياً، وفي طريق عودته

وجد ماءً عذباً فنزل ليستحم به، وإذا بحية تسرق منه سر خلوده، وتنعم هي بتجديد شبابها في كل عام[37].

على هذا النحو روت الملحمة الكفاح الشديد لبطل الملحمة من أجل تغير مصيره المحتوم، عن طريق معرفة سر الخلود من رجل الطوفان، وينتهي الأمر بالفشل الذي يصاحبه الشعور بالاستسلام وتقبّل الواقع من قبل جلجامش.

وبشأن المضمون الفلسفي للملحمة فيكمن في أنَّ الموت هو نهاية كل إنسان على هذه الأرض، وهو قانون لا يعلو عليه أحد مهما طال عمره، أو وفرت صحته، أو اتسع سلطانه، ولأنَّ الطمع هو ما جبل عليه الإنسان، كان هو الدافع إلى محاولة إبعاد الموت والحصول على الخلود، ببناء شيء خاص به تكون له صفة الدوام ليخلده بعد موته، لهذا سعى جلجامش إلى امتلاك سر الخلود، بعدما صدم بموت صديقه انكيدو.

تزخر الملحمة بصور رائعة لمواضيع إنسانية مثل الصداقة التي جمعت بين جلجامش وانكيدو، والحب والبغض والأماني والحرب والمغامرة والرثاء، وتدور كلها حول المضمون الديني لحقيقة الخلود المقتصر على الآلهة، والذي يفتح المجال أمام طموح البشر لتحقيق الخلود على المستوى المعنوي، وذلك بتخليد الأعمال والبطولات والأمجاد.

الخاتمة:

مما سبق عرضه يمكن استخلاص جملة من النتائج، وأهمها:

1- احتلال الأدب الرافدي مكانة رفيعة ضمن إبداعات الإنسان المتمدن من خلال رسمه صور الحياة الفكرية والروحية في العراق القديم، إذ تناول مواضيع مختلفة كانت تشغل بال الإنسان، يأتي في مقدمتها خلق الكون

والإنسان، الحياة والموت، الخير والشر، وكثير من المفاهيم ذات دلالات تتعلق بالأخلاق.

2- تجلَّت المضامين الدينية للأدب الرافدي في كل ضروب الأدب الرافدي، وبشكل خاص في الملاحم التي تطرح المسائل الأخلاقية والدينية، وتكشف عن جوانب رائعة في حياة الإنسان وعن إشكالياته الوجودية أمام مسائل الموت والحياة والديمومة.

3- ملحمة جلجامش من أقدم أدب الملاحم البطولية في تاريخ جميع الحضارات، إذ تتناول هذه الملحمة مسألة دينية كبرى شغلت الإنسان منذ القدم، فإذا كان الموت محتماً وقدراً كتبته الآلهة على البشر، وإذا تعذر على الإنسان نيل الحياة الخالدة سواء بالتغلب على الموت، أو بوجود حياة أخرى بعد الموت (وهي فكرة لم تكن موجودة عند العراقيين القدامى) فما ينبغي على الإنسان أنْ يسلكه في الحياة: أينبذها؟ أم يسلك سبل اللذة والتنعم؟ أم يرضخ لقانون الحياة ويسعى لأعمال تخلده بعد حياته؟ كما فعل جلجامش بعد رجوعه يائساً من رحلته في طلب الخلود.

هوامش البحث

(1) بهيجة خليل: الكتابة حضارة العراق، ج1، (بغداد: ب.م، 1985)، ص221.
(2) اوبنهايم: بلاد ما بين النهرين، تر: سعدي فيض، (بغداد: ب.م، 1986)، ص19.
(3) جان بوتيرو: بلاد الرافدين، الكتابة ، العقل ، الآلهة، ترجمة: البير ابونا (بغداد، 1990)، ص46.
(4) كريمر : من ألواح سومر، تر: طه باقر ، (بغداد ، 1957)، ص254.
(5) طه باقر: ملحمة جلجامش، (بغداد، 1980)، ص16.
(6) كريمر: الأساطير السومرية، ترجمة: يوسف عبد القادر، (بغداد ، 1970)، ص20.
(7) ثور كليد جالكبسون وآخرون، ما قبل الفلسفة، ترجمة جبران إبراهيم جبران، (بغداد، مكتبة الحياة، 1960) ص ص17، 22.
(8) طه باقر ، ملحمة جلجامش، مرجع سبق ذكره، ص45.
(9) المرجع نفسه، ص45، 46.
(10) جان بوتيرو: بلاد الرافدين، مرجع سبق ذكره، ص37.
(11) فاضل عبد الواحد علي: الطوفان (بغداد، 1970)، ص17.
(12) كريمر: الأساطير السومرية، مرجع سبق ذكره، ص ص38-50.
(13) فاضل عبد الواحد: سومر ملحمة وأسطورة (بغداد، 1997)، ص ص51-53.
(14) صلاح سليمان، أدب الحكمة في بلاد الرافدين، مراجعة فاضل عبد الواحد (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2000)، ص30.
(15) المرجع نفسه، ص ص31، 32.
(16) طه باقر: مقدمة في أدب العراق القديم (بغداد: ب.م، 1976)، ص38.
(17) فاضل عبد الواحد: سومر ملحمة وأسطورة، (بغداد: ب.م، 1997)، ص57.
(18) المرجع نفسه، ص58.
(19) صلاح سليمان: أدب الحكمة في بلاد الرافدين، مرجع سبق ذكره، ص35.
(20)المرجع نفسه، ص ص36، 37.
(21) فاضل عبد الواحد: سومر ملحمة وأسطورة ، مرجع سبق ذكره، ص52.

(22) كريمر: السومريون، تاريخهم، حضارتهم، ترجمة فيصل الوائلي، (الكويت: ب.م، 1973)،ص480.
(23) جورج كونتنيو: الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور، ترجمة سليم طه وبرهان عيد (بغداد، ب.م، 1979)، ص148-149.
(24) عامر سليمان: العراق في التاريخ (جوانب من حضارة العراق القديم) (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1983)، ص208، 209.
(25) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج1 (بغداد: مطبعة الحوادث، 1973)، ص559.
(26) رشيد عبد الوهاب حميد: حضارة وادي الرافدين (دمشق: دار الثقافة، 2004)، ص162.
(27) فاضل عبد الواحد: سومر أسطورة وملحمة، مرجع سبق ذكره، ص243.
(28) ثور كيلد جاكبسون: ما قبل الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص ص253-256.
(29) طه باقر: مقدمة في أدب العراق القديم، مرجع سبق ذكره، ص99.
(30) محمد حسن خليفة: رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى وحضارته ، (القاهرة، دار قباء، 1998)، ص209، 211.
(31) محمد العريبي: موسوعة الأديان السماوية والوضعية ـ الديانات الوضعية المفترضة، (بيروت: دار الفكر اللبناني، 1995)، ص104.
(32) فاضل عبد الواحد وآخرون: الأدب حضارة العراق، ج1، (بغداد، 985)، ص ص339-340.
(33) المرجع نفسه، ص ص174-175.
(34) المرجع نفسه، ص172.
(35) رشيد عبد الوهاب، مرجع سبق ذكره، ص174.
(36) ايج، أي. أيل: قصة الحضارة في سومر وبابل، تر: عطا بكري (بغداد: مطبعة الإرشاد، 1971)، ص41.
(37) رشيد عبد الوهاب، مرجع سبق ذكره، ص ص177، 178.